

نظرات
في نقد الشيخ زهير الخالد
لكتاب
صحيح السيرة النبوية

بقلم: د. محمد بن رزق بن طرهوني

١٤٢٦هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فلا زال الصراع بين الحق والباطل سنة في هذه الحياة ، وأسلوب ذلك يتفاوت بقدر الهوة بين الفريقين ، والأخذ والعطاء بين المنتسبين إلى العلم الشرعي هو حلقة من حلقات هذه المنظومة ، لكنه يتميز بالأسلوب الأدبي الراقي ، وانتهاج النهج العلمي الرصين والدقيق ، مع الترفع عن الاتهامات والعجب بالنفس والتعالي على الآخرين ، لاسيما ممن يكون واقعه البضاعة المزجاة .

وقد علمت بأن الأخ الكريم فضيلة الشيخ زهير الخالد قد انتقد مواضع من كتابي صحيح السيرة النبوية المسمى بالسيرة الذهبية^(١) ، وذلك في معرض رده على فضيلة الدكتور عبد الله الرحيلي^(٢) . ولست أدعي العصمة في عملي ، بل أنا متأكد من وجود ثغرات وهفوات وزلات وأخطاء ، أوقعني فيها طبيعتي البشرية ، وما هو مؤكد من غياب كثير من العلم عني . وأرحب بكل نقد بناء في محله ، ولكن عندما اطلعت على الرد فوجئت بأن الشيخ _ حفظه الله ووفقه للخير _ قد خالف ما كان يظن به في مثل تلك المواقف ، وقد رأيت أموراً ظاهرة الخطأ في رده على الدكتور عبد الله ، ولكني أتركها لصاحب الشأن فهو أولى بها . وأجمل ردي على تعقب الشيخ زهير لي في بعض مواضع الكتاب في نقاط ثلاث قبل التفصيل :

(١) نشر هذا الانتقاد بالعدد ١٢ من المجلة : محرم - ربيع الأول ١٤٢٦ هـ بعنوان حوار حول مناهج تدوين السيرة النبوية . من ص ٩-٥٦ ولك أن تتخيل مطابقة عنوان المبحث لفحواه لتعرف أنه في الحقيقة بمعزل عنه ، ففي حين جاء ذكر اسمي وكتابي في سطر واحد من مقالة الدكتور الرحيلي الآتي ذكرها وهي المعنية بالنقد ، استغرق كلام الشيخ عن كتابي خمسا وعشرين صفحة وهو ما يفوق نصف المقالة كلها !! ولم تنل أربعة من الاتجاهات الخمسة التي تكلم عنها الدكتور عبد الله - وأنا مثال لأمثلة اتجاه واحد منها - من حوار الشيخ إلا نصف صفحة أو أقل !! وكأن ذلك لا يعنيه ، مما يعني أن العنوان المطابق ينبغي أن يكون : نقد كتاب صحيح السيرة النبوية أو ما شابه ذلك .

(٢) في مقالته مناهج تدوين السيرة النبوية _ عرض ومناقشة . المنشورة بالعدد ١١ من المجلة : شوال - ذو الحجة

الأولى : اتسم الرد بسمات تخرجه عن الرد العلمي المتجرد ، وأقول ذلك للأسف ، وهو يعطي انطباعا سيئا ، يفيد أن الشيخ زهير يرد بناء على شيء في نفسه نسأل الله أن يزيله . وليس خافيا على من يعرفني ويعرف الشيخ زهير ، ما بيننا من اختلاف في المشارب والمناهج ، يمكن أن تكون حافزا لمثل ذلك ، ومن خلال هذه الكلمات يتضح ما أقوله :

١- هذه بعض ألفاظ الشيخ في رده العلمي :

- هذا الكتاب فيه طامات ، وفيه خلط كبير بين وقائع السيرة ، وفيه أخطاء علمية معيبة ، وفيه مخالفات للصحيحين ، وللصحيح من وقائع السيرة النبوية ، وفيه تتبع شواذ المسائل المثيرة للخلاف .

- عدا العبارات الجارحة بحق النبي ﷺ التي تتنافى وعصمته وكماله البشري والتي تصدم شعور كل مسلم محب للنبي ﷺ ويعظمه ويوقره .

- هذا الكلام وما فيه من جرأة على النبي ﷺ تتنافى مع عصمته وكماله البشري عليه الصلاة والسلام وتصدم مشاعر المسلمين وتجرح قلوبهم لا يمكن أن يصدر عن مسلم يحمل في قلبه ما يجب للنبي ﷺ من تعظيم وتوقير .

- لكن في الكتاب المذكور حرف كلام الحافظ ابن حجر .

- وبهذا الجزم فيه اتهام كبير للرواة الثقات وما أظن أن أهل الحديث الشريف يفعلونه

- في الواقع لا أدري سر هذا الإصرار على نسبة هذه الكلمة لأم المؤمنين خديجة

- بل ويحمله ذلك على أن يحرف الكلم عن مواضعه

- فيه غاية الإساءة إلى النبي ﷺ ولا أعلم أحدا قال ذلك سوى المشركين في عهده ﷺ

والمستشرقون في هذا العصر ولا أعلم أحدا من المفسرين قاله فمن أين جاء المؤلف بهذا

الافتراء الشنيع ؟

- مؤلف هذا الكتاب المذكور مطالب بأن يذكر لنا من أين جاء بهذا التفسير الباطل

والآثم ؟

- ونحن معذورون إذا ارتبنا بالعرض من هذا التفسير الذي يتنافى مع عصمته ﷺ

- فهو فهم سقيم جد سقيم

- ألا يثير التفسير الوارد في الكتاب المذكور لهذه الآية الكريمة السابقة ما أنت بنعمة ربك بمجنون ألا يثير الريبة بهذه التفسيرات الباطلة
- لقد أورد الكتاب المذكور تفسيرات واهية وأخبارا موضوعة
- إكثار المذكور من ذكر الروايات في الحواشي وذكر سندها وحكمه بالصحة أو الضعف لا معنى له عندي سوى التظاهر بالعلم
- هذا مثل واحد على عدم صحة ما اشتمل عليه الكتاب من تخريجات وعدم الأمانة فيها .

- وقد رأينا تحريفه لكلام الحافظ ابن حجر ..

وغير ذلك أيضا

قلت : ولي أن أتساءل ماذا يريد فضيلة الشيخ بهذا الكلام في رده العلمي المزعوم ؟ ولا أظن أحدا يخفى عليه ما في هذا الكلام من تكفير مبطن ! إن لم يكن واضحا جليا ! مع استعداد ظاهر لأمة الإسلام على الكتاب وصاحبه .

ولا أدري كيف خفي هذا الإجماع المتناهي على كل من اطلع على الكتاب غير الشيخ من أئمة العصر أمثال الشيخ الألباني والشيخ ابن باز رحمهما الله ؟ وقد وصلهما الكتاب ، وبلغني الشناء عليه . وكذا أثنى عليه جماعة من أهل العلم ، ومنهم أصحاب الفضيلة المشايخ : الدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي ، والدكتور حكمت بشير ياسين ، والدكتور حسين آل الشيخ وغيرهم كثير . بل قرر تدريسه على طلبة معهد مأرب ، وقام بتدريسه الشيخ أبو الحسن المأربي بنفسه . وكذا درس بدورات علمية ، وكان مرجعا لعدة مؤلفات ، ومنها كتاب الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية^(٣) ، كما رشح الكتاب لبعض الجوائز كجائزة المدينة وجائزة الملك فيصل وتأخر لعدم تمامه .

فهل يعقل أن يكون الكتاب بهذا الوصف ثم يخفى على كل هؤلاء ما ظهر لهذا الشيخ وحده؟؟

(٣) انظر : ص ٣٧ ، ٣٩ ، ٦٩ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٢٨ ، ١٣٥

ثم إن الكتاب له الآن أكثر من خمس عشرة سنة ، لم يصلني من أحد من أهل العلم اعتراض على شيء جاء فيه ، خلا بعض من كان منحرفا عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، بل كان الثناء والحث على الإتمام ، هو الديدن لمن دار بيني وبينه الحديث عنه .

وأقول للشيخ هذه الاتهامات المكيلة لي جزافا ، لو تأملها عاقل لعرف بطلانها دون اطلاع على ما سواها :

فلو قيل : إن أحد المنتسبين للعلم ، أفنى من عمره أكثر من عشرين سنة ، لدراسة سيرة النبي ﷺ ، وأخرج في ذلك كتابين أحدهما : هذا الكتاب الضخم ، وعدة رسائل ، وله محاضرات ومقالات في خدمة هذه السيرة ؛ فهل يمكن أن يفعل ذلك إلا من شدة محبته لصاحب هذه السيرة العطرة وشغفه بها ؟؟

أو أن يكون كافرا زنديقا دسيسة في صفوف أهل الإسلام لتزوير سيرة المصطفى ﷺ وتصيد ثغرات للطعن في شريعة الإسلام ؟؟

فأيهما أراد الشيخ بهذه الألفاظ والطعون ؟؟ وهل أصاب بذلك أم زاغ ؟؟

وإذا نظرنا لبقية أعمال هذا المطعون فيه من عشرات الكتب ، ومئات المحاضرات والندوات ، وآلاف الفتاوى في فنون العلم ، خلا شهادات أهل العلم له ، فهل يمكن أن يكون دافعه سوى الحب العام لخير خلق الله وخاتم رسل الله ﷺ ؟؟

٢- موقف عجيب وغريب^(٤) ، في تعليق الشيخ زهير على حديث : لو وضعوا الشمس في يميني ، وعن تحسين الألباني للرواية الثابتة سواء ، يقول الشيخ زهير - هداني الله وإياه- : أما الطرهوني في كتابه صحيح السيرة فقد أشار إلى ذلك (أي تحسين الألباني) ، لكن بعبارة جاءت وكأن الشيخ ناصر (هكذا) تابعه أو وافقه على تحسينها ؛ فقال : وقد حسن حديثنا الألباني وعزاه لأبي جعفر البخاري ... ولا ابن عساكر . ومن لا يعرف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ولا يعرف د محمد طرهوني ، يفهم من عبارته هذه أنه أسبق إلى تحسينها من الشيخ ناصر _ كما تفيد العبارة _ وأن الشيخ ناصر (هكذا) - رحمه الله تعالى - تابعه أو وافقه ، علما

(٤) في حاشية رقم ٤ من الصفحة ١٩

بأن الشيخ ناصر (هكذا) سبق الطرهوني بالحكم على الحديث بأكثر من ثلاثين سنة
.... إلخ كلامه .

قلت : ما فائدة هذه المقطوعة للقارئ الكريم وما الذي يهدف إليه فضيلة الشيخ ؟
هل كلمة : وقد حسن حديثنا الألباني تفيد ما ذكره الأخ ؟ أم أن هذه دعوى عارية لمن
له أدنى فهم ؟؟

هل إذا قلت : وقد حسن حديثنا ابن حجر أو السيوطي هل أريد بذلك السبق عليهم؟؟
لا أقول إلا : لا حول ولا قوة إلا بالله ... وأظن الذي لا يعرف الشيخ ناصر الدين
الألباني لا يقرأ هذه التحقيقات فلن يختلط عليه الأمر ، فليطمئن فضيلته لما تظن إليه !

الثانية : يدندن الشيخ في كلامه كثيرا حول التخصص في السيرة ، وقد ذكر ذلك في
أكثر من عشرة مواضع ، ولا أدري ما هو ميزان التخصص لديه ؟؟ أهو أن يدرس مختصر
سيرة ابن هشام أربعين سنة ؟ أم أن يخرج في التلفاز أو الإذاعة ليقرأ شيئا منها ؟؟؟
لقد اعتبر الشيخ زهير كل من صنف في السيرة على منهج المحدثين أنهم ليسوا من
المتخصصين في السيرة ، بدءا من الإمام العلم الشيخ الألباني رحمه الله ، ومرورا بأستاذ
التاريخ الدكتور أكرم العمري ، وانتهاء بالعبد الضعيف الذي أفنى أكثر من عشرين سنة
في دراسة السيرة وسبر مروياتها .

فياليت الشيخ يعطينا ضابطا للمتخصص في السيرة ، حيث إنني شخصا لا أعتبره من
المتخصصين في السيرة ! وسوف يتبين ذلك جليا من الرد الذي يأتي على انتقاداته . وإنما
هو قارئ لها ، وناقل لما يقرأ ، وهذا في مقدور كثير من الناس . أما النقد والتحليل ،
والتوفيق بين الروايات ، وحل المشكلات والمعضلات ، فهو بعيد جدا عنه كما سيأتي .

الثالثة : لم يوضح الشيخ المفضل ما هو المنهج الذي تتبعه في نقده لكتابي ، هل هو
منهج المحدثين ؟ أم منهج المؤرخين ؟ أم عقل زهير الخالد ؟؟؟

إذا كان منهج النقد منهج المحدثين ، فهو أولاً ليس من أهل ذلك بلا جدال ، ولا أظنه يدعيه ، ولو ادعاه لقلنا له : أنت تزعم عدم صلاحية هذا المنهج في نقد روايات السيرة فلماذا تتبعه هنا إذا؟؟

أما إذا كان منهج المؤرخين - والشيخ يدعي أنه متخصص في السيرة - فكيف ينقد روايات كلها مذكورة في كتب السيرة والدلائل والشمائل ؟ ولم آت بشيء من كيسي ، فما باله يرد روايات أهل السير والتاريخ؟؟

وأما إذا كان عقل زهير الخالد ، فمع احترامي للشيخ ، فعقله وفهمه لا يلزمني ، ولا يلزم أحداً ، وقد يؤتى المرء من سوء فهمه ..

هذه ثلاث نقاط ليكون القارئ الكريم على بينة قبل أن أشرع في رد الدعاوى العريضة وهاك التفصيل :

١- قلت في كتابي : ثم كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم (فعلى رأس الأربعين) (في اليوم الموالي الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين) بينما هو نائم إذ أتاه جبريل بنمط من ديباج مكتوب فيه اقرأ باسم ربك الذي خلق . (٥)

قال الشيخ : هذا الكلام فيه خلط وتناقض فهو يخلط بين بدء الوحي بالرؤيا الصادقة إلى أن قال : يخلط بينه وبين نزول جبريل عليه الصلاة والسلام بصدر سورة العلق ... إلخ كلامه

وأقول :

أولاً : لم يفهم الشيخ منهجي في الكتاب أساساً ولذا خفي عليه الكثير كما أنه لم يلتزم بالأقواس التي وضعتها لبيان أن هذه الألفاظ مجموعة من عدة روايات .

ومنهجي في الكتاب مبين في مقدمته (٦) ، وخالصة ذلك : أنني أريد تقديم سيرة صحيحة للقارئ ، ليس فيها خلافات وأقوال وتناقضات واضطرابات ، ولذا فلا بد أن أجمع من الروايات ما يتوافق فيما بينها ، ويظهر الحقيقة للقارئ بأقرب ما يمكن . وهذا أمر شاق ،

(٥) انظر ٣٩/٢

(٦) انظر ١٨-٦/١

تطلب جهدا مضنيا ، وتجشما للصعاب . وهذا ما لم يفطن له أخونا الكريم ، لأنه عندما يدرس السيرة ، أو يقرؤها ، لا يضيره أن يقول : وجاء في رواية : كذا ، وقيل : كذا ، وروي : كذا ، وانتهى الأمر ...

ثانيا : قصة بدء الوحي جاءت في روايات عديدة ، منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو ضعيف لكن يوجد ما يشهد لأجزاء منه . والذي عملته هو : الجمع بين الروايات المقبولة حديثيا في هذه القصة ، ثم سوقها مساقا واحدا ، لتعطي للقارئ السيرة بأسلوب مستمر قصصي لا حديثي . ثم من باب الدقة العلمية ، جعلت أرقامها وأرقامها لتدل القارئ على مصدر كل جزء من الرواية ، وأفضل هنا ما يثبت ما ذكرته لكي يعرف القارئ حقيقة الأمر :

أما كون النبي ﷺ بعث على رأس الأربعين فهذا ثابت في صحيح البخاري وغيره^(٧) وقد ثبت في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة وغيره بإسناد على شرط البخاري كما فصلته في رسالة مستقلة^(٨) أن النبي ﷺ ولد يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، فهذا يعني أن أول ما بدئ به من الوحي كان في اليوم نفسه حتى يكون على رأس الأربعين . وأما كون ذلك يوم الاثنين ، فهو ثابت في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرها وكذا في حديث ابن أبي شيبة السابق .

بقي أمر ، ما هو الذي بدئ به النبي ﷺ من الوحي في تلك الليلة ؟؟؟؟ هذا الذي لم يفهمه الشيخ زهير وأحدث عنده ارتباك ..

الذي بدئ به النبي ﷺ في هذه الليلة ، هو رؤيا رآها مثل فلق الصبح ، وهذا ثابت في حديث عائشة عند البخاري وغيره . ولم تذكر عائشة رضي الله عنها التاريخ ، ولا الرؤيا ، ولكننا عرفنا التاريخ من الروايات الأخرى السابق ذكرها لأن بدء الوحي لا يتكرر .

قال الحافظ^(٩) : وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع في شهر مولده ﷺ ، وهو ربيع الأول ، بعد إكماله أربعين سنة . وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان . ١. هـ

(٧) انظر ٢٢٧/٧ .

(٨) واسمها : تحديد تاريخ المولد بإسناد على شرط البخاري طبعت سنة ١٤١٢ هـ بدار فواز للنشر ، كما نشر مناقشتي ذلك في بعض الصحف المحلية في جريدة المدينة وجريدة الندوة .

بقي أن تعرف ما هي الرؤيا التي بدئ بها الوحي ؟ وقد جاء ذلك في عدة روايات اتفقت على بداية الوحي برؤيا تشابه ما حصل بعد ستة أشهر ، حيث جاء جبريل يقظة بنفس ما حصل مناما ، ومن ذلك :

مرسل عبيد بن عمير الذي رواه ابن إسحق مطولا بإسناد صحيح عنه .
مرسل سليمان التيمي الذي أخرجه ابن عساكر^(١٠) وغيره وإسناده صحيح وفيه : يا خديجة أرايت الذي كنت أخبرتك أني أرى في المنام فإنه جبريل قد استعلن لي .. إلخ .

مارواه ابن عساكر^(١١) عن ابن عباس وفيه : ثم استعلن له جبريل ... إلى قوله : قال : يا خديجة أرايت ما كنت أريه في المنام وأحدثك به فإنه قد استعلن لي .
وغير ذلك من روايات أخرى ذكرتها في الكتاب لا أطيل بتكرارها هنا .
وقد قال ابن كثير^(١٢) : وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة ، كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .
وقال أيضا^(١٣) - عند كلامه عن الإسراء - : وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي ، حيث رأى ما وقع له يقظة مناما قبله ، ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة ، والتثبت والإيناس .

وقال السهيلي^(١٤) : وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لأن أمر النبوة عظيم وعبئها ثقیل والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه . ا.هـ
فليت شعري ! من الذي خلط ؟ ومن الذي تناقض ؟ ومن المتخصص ؟ ومن الدعي ؟؟؟؟

(٩) فتح الباري ١/٢٧

(١٠) تاريخ دمشق ٧٦٢-٧٦٦/١٧ المصور عن مخطوطة الظاهرية بمكتبة الدار بفهرستي .

(١١) تاريخ دمشق ٧٥٦/١٧

(١٢) البداية والنهاية ٣/١٣

(١٣) البداية والنهاية ٣/١١٤

(١٤) الروض الأنف ١/٢٦٩

ومن أراد التفصيل العلمي الدقيق ، المؤيد بالتخريج ، وكلام العلماء الذي لم يرفع به _
للأسف _ الشيخ رأسا ؛ فليرجع للكتاب المفترى عليه (١٥) .

٣- يقول الشيخ : إن حديث عبيد بن عمير _ الذي يعترف المؤلف بصحة سنده -
يصرح بأن مجيء جبريل للنبي عليهما الصلاة والسلام بصدر سورة العلق في المنام في غار
حراء ، كان في شهر رمضان ، وليس في الثاني عشر من ربيع الأول كما ورد في الكتاب
المذكور .

قلت : هل الشيخ زهير يرى أن كلام عبيد بن عمير هو الصواب فيبين أنني خالفت الحق ؟
أم أن الذي ذكرته هو الحق ، وليس علينا بما ذكر عبيد بن عمير أو غيره ؟؟
لم يفهم الشيخ زهير الفرق بين تصحيح الرواية ، وبين قولي بإسناد صحيح عنه ، وهذا يدركه
صغار طلبة الحديث . والفرق أنه يبقى مرسلا ؛ فلا ينتهض لمعارضة الصحيح ، ولذا لم أقبل
منه أن بدء ذلك كان في رمضان ، أو أي مخالفة غيرها لما ثبت في الصحيح .

قلت في الكتاب (١٦) : حتى جاءه الحق وهو في غار حراء في يوم الاثنين الموافق الرابع
والعشرين من رمضان ... إلخ .

وقلت أيضا : فأنزل الله القرآن بعد أن فصل من الذكر جملة واحدة في ليلة القدر ليلة
الخامس والعشرين من شهر رمضان ... إلخ .

قال الشيخ زهير : هنا نجد تناقضا واضحا فهو يقول : في الرابع والعشرين ونهارا بينما
يقول : في ليلة الخامس والعشرين وليلا ؟؟ فأيهما الصحيح في الكتاب المذكور ؟؟
أهكذا يكون شأن صحيح السيرة النبوية ؟ والسيرة الذهبية ؟؟

قلت : سبحان الله ! حتى العوام يفهمون الجمع بين ماجاء في هاتين الروايتين ، بل هو
متداول مشهور ، لأن ليلة الخامس والعشرين هي نهاية يوم الرابع والعشرين .

فالقرآن قد نزل يوم الاثنين الرابع والعشرين ، ليلة الثلاثاء التي هي ليلة الخامس والعشرين من
الشهر ، ولو قرأ الشيخ أي دعوة عرس يدعى إليها لفهم هذا !!

وهل رأى مخلوق في كلامي كلمة : نهارا التي زادها الشيخ من كيسه ؟؟؟

(١٥) انظر ٣٥٧/١-٣٦١

(١٦) انظر ٣٦/٢ ، ٣٧

ثم بعد ذلك يسخر ويستهزئ ، ولا أجمل من قول القائل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ثم إنني أعيد وأكرر : هذه ألفاظ الروايات ، وليست اجتهادات مني . والجمع بين ألفاظ الروايات وشرحها ؛ ليس مكانه كتابي كما بينت في المقدمة . فلينكر الشيخ على ابن عباس ، أو واثلة بن الأسقع ، أو غيرها ، ممن روى هذه الروايات الصحيحة - إن كان ما زال يرى بها تناقضاً!!!!!! وظاهراً!!!!!!

٤- قلت : ثم أتاه جبريل عليه السلام في أول ما أوحى إليه فأراه الوضوء والصلاة ... إلخ .

قال الشيخ : دون أن يبين لنا متى ... هل أتاه بهما عقب نزول مطلع سورة العلق - كما يفيد سياقه - أو أتاه به بعد فترة الوحي ، أو خلالها ... إلخ .

وأقول : ما زال الإشكال عند الشيخ عدم الفهم لمنهج الكتاب أساساً !!

يا أخي الكريم ! أنا أسوق ألفاظ روايات ثابتة ، ولا أزيد شيئاً من فهمي - اللهم إلا في القليل النادر - وهل أنا شرطت على نفسي ، أن أبين لك كل صغيرة وكبيرة حتى لو التزمت الشرح؟؟ هل أنت تنتقد أباطيل ذكرتها في الكتاب ، وأحاديث موضوعة ؟ أم تطلب مني الشرح لمن كان عنده قصور في الفهم ، وضعف في العقل؟؟؟

ثم أنت - بحمد الله - قد فهمت من السياق أن ذلك عقب نزول مطلع السورة ، وهذا واضح لكل ذي عينين . وقد ذكرت ما يدل على ذلك في التخريجات ، وهذا هو منهج الكتاب ؛ فهو مسوق سوق القصة الواحدة المترابطة .

غدا يأتي متخصص آخر في السيرة !! فيطالبني ويقول : الساعة كم بالضبط ؟ وهل كان الجو حاراً أم معتدلاً ؟ وكم شخص رآه ؟ وكم قضى معه من الوقت ؟ وماذا كان يلبس ؟ وفي أي شكل نزل؟؟ فكل ذلك لم يوضحه الطرهوني لأنه من أهل الحديث وليس متخصصاً في السيرة ... الله يهديه !!!

٥- يقول الشيخ زهير - بصره الله بالحق - : يذكر افتراض الصلاة ونزول سورة الفاتحة وإسلام أم المؤمنين خديجة وعلي رضي الله تعالى عنهما ، قبل نزول مطلع سورة المدثر ، خلافاً لما هو ثابت في السيرة في صحيح مسلم ، من أن هذه الأمور كانت بعد انتهاء

فترة الوحي ، ونزول صدر سورة المدثر التي أرسل فيها النبي ﷺ ، وكلف فيها بالتبليغ ، ثم يسمي كتابه صحيح السيرة أو السيرة الذهبية ، وفيه هذه المخالفات لصحيح السيرة النبوية .

قلت : لا أدري والله ما أقول ! أردت أن أكتب كلمة هنا فمحوتها تلطفا بالشيخ .
أنا أتحدى الشيخ ، بل هو ومن شاء من الأمة ، أن يأتيني من صحيح مسلم ما يثبت أن نزول الفاتحة أو إسلام خديجة وعلي رضي الله عنهما بعد انتهاء فترة الوحي ، ونزول المدثر ، وليكسر الخاسر قلمه !!

ما هذه الجرأة المتناهية على هذه الدعاوى العريضة التي لا زمام لها ؟؟
ثم ذكر حديث جابر في نزول المدثر ، وأقول له : إنه لم يتفرد به مسلم كما يوهمه كلامه بل هو عند البخاري أيضا ، ولكنه بطبيعة الحال لم يجمع طرقه ليتبين حقيقة آخر ما جاء في بعض الطرق من قوله : والرجز فاهجر قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان .
فهذا الجزء ليس صريحا إنه من كلام جابر ، بل هو محتمل أن يكون من كلام الزهري أو من كلام أبي سلمة ، وما ذلك إلا لأن هذه الزيادة ليست في الطرق الأخرى للحديث ، كما جزم ابن حجر أن تفسير الرجز بالأوثان فيه من كلام أبي سلمة ، وهي في نفس سياق الزيادة الأخرى .

ومع التسليم أنها ليست من كلام الزهري ؛ فشتان بين فرض الصلاة ومشروعيتها ، وقد فرق بينهما أهل العلم الذين يقولون بفرضية الصلاة ليلة الإسراء ، لأن النصوص متوافرة على صلاته ﷺ هو وأصحابه قبل ذلك طيلة هذه السنوات ، وأظن أن هذا الأمر لا يخفى على قارئ السيرة فضلا عن المتخصص !!.

فقد صلى النبي ﷺ كما في الأحاديث الثابتة بعلي وبخديجة ظهرا ، وصلى بعلي عصرا ، وصلى بأصحابه الفجر قبل معرفة الجن ببعثته ﷺ ، وكانت ليلة الجن بعدما صلى بأصحابه العشاء ، بل إن ليلة الإسراء نفسها كانت بعد أن صلى بأصحابه العشاء كما في البخاري وغيره (١٧)

(١٧) انظر تفصيل ذلك في الحاشية رقم ٣٥٦ - ٣٥٧ من صحيح السيرة ٣٧٢/١ - ٣٧٤

كما أن لفظة قبل أن تفرض الصلاة لا ذكر فيها لكون ذلك بعد مدة طويلة ، أو أن ذلك بعد الإسراء ، وليس فيها إلا أن نزول أول المدثر قبل أن تفرض الصلاة ؛ فيكون الخلاف فقط في اعتبار صلاة جبريل بالنبي ﷺ إنما كان بعد نزول صدر المدثر ، وليس فيه ذكر للفتحة أو إسلام علي أو خديجة .

ومع التنزل التام ، يبقى هذا رأي جابر رضي الله عنه ، وقد كان لا يجزم بأيهما نزل أولاً : العلق أم المدثر ؟ كما في نفس الرواية ، مع وضوح الأمر تماما . وخلافه في ذلك معروف ، وقد دلت الروايات الأخرى على توسط الفتحة بينهما . وهذه الفترة لكونها في بداية البعثة ، يخفى على الكثير ضبط الأمر فيها ، كما خفي على بعض من أسلم فيها إسلام من سبقه . وقد بينت ذلك في مواضع من الكتاب ، فالمسألة مسألة ترجيح بين نصوص صحيحة ، وأقوال للعلماء ، فأبي غضاضة في ذلك أيها المتخصص ؟؟

ثم ذكر كلاما لابن كثير لا أناقشه الآن في فهمه له ، وهو - بطبيعة الحال - لو كان كما فهم ؛ فليس بملزم لي بحال ثم قال :

لكن الكتاب المذكور خالف في ذلك ، وجعلها هي إلى أن قال : اتباعا منه لابن إسحق .

قلت : عجب عجاب !! هل اتباعي لابن إسحق - لو صدقت أو فهمت - علي فيه من لوم ؟ وهو إمام السير والمغازي ، وأنت تنادي باتباع أهل التخصص في السيرة ؟؟ ولكني أبشرك أنني لم اتبع ابن إسحق ، وإنما اتبعت الروايات الثابتة الصحيحة التي وافقها قول ابن إسحق ولكن !!!!!!!

ثم يا أخانا ! هل هذه بواطيل ؟ ومخالفات للسيرة الصحيحة ؟ عندما أوافق ابن إسحق ؟؟ ثم نقل كلاما للسهيلي يستدرك به علي ابن إسحق ، وأقول له : ابن إسحق هو المصيب ، وهو العلم الإمام في هذا الفن ، والسهيلي لم يأت بدليل إطلاقا على رد ما ذهب إليه ابن إسحق ، ولا يوجد في الصحيح أي إشارة إلى كون ذلك صبيحة الإسراء ، والله عز وجل يقول : { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (١٨)

ثم يعترض الشيخ على جعل نزول الفاتحة وصلاة جبريل قبل نزول المدثر ، ويلزمي بأنها أثناء فترة الوحي ، ويقول : وهذا يتناقض مع الروايات الصحيحة التي تقول : إن النبي ﷺ حزن حزنا شديدا لانقطاع جبريل ... إلخ .

فأقول له : ومن قال لك إنني قلت بنزول جبريل أثناء فترة الوحي ؟ وهل يعقل ذلك ؟ وإنما الفترة كانت بعد نزول جبريل بالفاتحة ، وصلاته صبيحة ليلة حراء ، وذلك جمعا بين النصوص الواردة في أول ما نزل من القرآن ، وهو علم مستقل من علوم القرآن ويمكنك مراجعة محاضرتي الخاصة بذلك ، وهي متوفرة على شبكة الإنترنت حيث فصلت القول بما يزيل عنك اللبس إن شاء الله تعالى .

وأعود لأكرر : هذه روايات يا أخي الكريم ، وليست ألفاظي أنا ، فإن شئت فأنكر على علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله بأنه أنزل على النبي ﷺ الوحي يوم الاثنين وصلى هو معه يوم الثلاثاء^(١٩) ، وكذا على بقية الروايات ، ومن قال بما من أهل العلم ، ودعك من الطهوي المسكين ..

٦- قلت : ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفترة الوحي (حتى حزن رسول الله ﷺ) (واشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا) فقالت له خديجة : (يارسول الله) ما أرى صاحبك إلا قد قلاك (لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاث)

فلما قضى النبي ﷺ جواره بحراء وكانت مدة الجوار شهرا إلخ ما ذكرت^(٢٠) ، وفيه نزول صدر المدثر ، وصدر نون والقلم ، والضحي ، والشرح مع تفسيرها بما ثبت عن السلف الصالح .

وهنا ثارت نائرة الشيخ زهير ، وأرغى وأزبد ، فقال ما قاله من قبيح كلامه المتقدم في أول الرد ، وقال : ثم إن هذا الخلط في ترتيب الوقائع التي ذكرها ، لا يصدر عن علمه بالسير النبوية ، وهذا هو البيان .

(١٩) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرک ١١٢/٣ بإسناد حسن عن بريدة رضي الله عنه وله شاهد عن أبي رافع أخرجه البزار كما في كشف الأستار ١٨٣/٣ والحاكم أيضا ١٨٢/٣ وفيه أيضا عن جابر أخرجه الطبري ٣١٠/٢ وللحديث شواهد كثيرة انظرها في صحيح السيرة ١/٣٧٨-٣٨٤ حاشية رقم ٣٧٠

(٢٠) انظر ٤٠/٢-٤١

وياليتته أراحنا من هذا البيان !! وهذا العلم المتميز في السيرة !! لأنه - سامحه الله -
حكم بعلمه السطحي جدا في السيرة ، على ما ذكرته بعد دراسة متأنية ، وبنيتة على
أسس علمية ، لا يختلف فيها أحد من أهل العلم إذا اطلع عليها .

قال في الفقرة الأولى من بيانه المزعوم :

إن فترة الوحي التي أشار إليها الكتاب ، ليست هي فترة الوحي الأولى التي أعقبت نزول
صدر سورة اقرأ ، وإنما هي فترة أخرى كما ورد ذلك في الصحيحين ، وفي غيرها ...
ثم ذكر الروايات التي يظن أنها تخدم قوله ذلك ، وليس فيها ما يخدمه ، وخطأني وخطأ
الشيخ إبراهيم العلي ، ثم ذكر كلاما للحافظ ابن حجر يبين فيه الاختلاف فيمن قال
للنبي ﷺ : ما أرى صاحبك إلا قد قلاك ، واتهمني بتحريف كلام ابن حجر ثم قال :
لا أدري إن كان مؤلف الكتاب المذكور قد انتبه لخطورة قوله هذا : وأما لفظة شيطانك
فهي من تصرف الرواة وقد أوردها بصيغة الجزم ...

وقد تكلم كثيرا في هذا الموضوع لعدم فهمه حديثيا ، وعدم تمكنه في السيرة ، وقلة بضاعته
في القرآن وعلومه . ولن أنقل كلامه كاملا ، وإنما سأذكر أدلة ما ذكرته ، وبه يظهر عوار
ما قاله جملة وتفصيلا :

أولا : لا يوجد أي دليل على وجود فترتين للوحي ، وادعاء أنهما فترتان كما يقوله
البعض ، يحتاج إلى دليل ، فمن أين له الجزم بذلك ؟ وأن يبنى عليه رد كلامي ؟
ثم نطالب المتخصص في السيرة ، أن يحدثنا عن فترة الوحي الثانية المزعومة ، ومتى
كانت؟ وهل في مكة كانت أم في المدينة؟ وما سببها؟ وهل ورد لها أي ذكر سوى
حديث جندب المزعوم أنه في غير الأولى؟ ... إلخ ما يعرفه المتخصص ، ولا نعرفه نحن!!
وأقول له : من زعم أنها فترتان ، فالسبب معروف ، وهو مجرد الخروج من مأزق التحرير
والجمع الذي يحتاج إلى جهد ونظر .

ثانيا : خفي على الشيخ أمور كانت سببا في اللبس الذي حصل له ومنها :

١ - أن سورة والضحي عند أهل العلم بالتفسير وعلوم القرآن من أوائل ما نزل من
القرآن ، وهي كذلك عند أهل السير والمغازي ، وقد ثبت ذلك حديثيا من طرق عدة ،

بل جاء ذلك مرفوعا فيما أخرجه الطبري^(٢١) ورواه ابن أبي عاصم^(٢٢) موقوفا عن عائشة وإسناده حسن لغيره وشواهدة كثيرة .

٢- أن الحديث الذي أخرجه واحد عند أهل العلم بالحديث ، بل عند العقلاء قاطبة ، لا يمكن أن يكون قد جاء إلا بلفظ واحد . والألفاظ الأخرى هي لا محالة من تصرف الرواة ، والعالم المحقق هو الذي يستطيع أن يصل إلى اللفظ الحقيقي الذي جاء به الحديث .

٣- أن إمام أئمة السيرة ، وأستاذ علمائها الجهابذة ، يوافقني فيما ذكرت ، فلا أدري ماذا يريد هو ؟ لا أهل الحديث يعجبونه ، ولا أئمة أهل السير يعجبونه !!!
والذي قال بأن قائلة ذلك خديجة ، هو إمام السيرة مطلقا : عروة بن الزبير رضي الله عنه كما سيأتي .

ثالثا : قد ذكرت الدليل على قولي بتفصيل علمي دقيق ومطول فيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد^(٢٣) .

(٢١) تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٩٨-٢٩٩

(٢٢) الأوائل ١٠٣

(٢٣) قلت في صحيح السيرة ١/٣٦٦-٣٦٩ الحاشية رقم ٣٣٦: أصل هذا الحديث في صحيح البخاري ٨/٣ ، ٧١١/٨ ، ٧١٠ ، ٣/٩ عن جندب ومابين الأوقاس منه وقد أخرجه جماعة غيره وهو عندهم جميعا من حديث الأسود بن قيس عن جندب رضي الله عنه وقد اختلف في متنه اختلافا كثيرا ينظر له فتح الباري في الموضوعين المذكورين أولا ، وتفسير الطبري ٣٠/٢٣١ والدر المنثور ٦/٣٦٠ وليس في الحديث في الصحيح تسمية المرأة التي قالت ذلك ، ولكن ثبت من طرق عدة أنها خديجة وهي التي يمكن أن يتوجه عليها جميع الروايات تقريبا بلا تعارض ماعدا رواية من قال بدلا من صاحبك : شيطانك والحديث واحد ومخرجه واحد فالقصة واحدة وحملها على التعدد لا يصح المصير إليه وقد ذكر نحو ذلك الحافظ ثم جزم بكون القائل امرأتين إحداهما خديجة ، والأخرى امرأة أبي لهب ولم يأت بحجة في المرأة الثانية إلا رواية رواها الحاكم عن زيد بن أرقم فيها النص على ذلك ولكنه لم ينقل بقية كلام الحاكم فإنه بعد أن رواه ، قال : هذا إسناد صحيح كما حدثناه هذا الشيخ إلا أنني وجدت له علة ، ثم رواه عن شيخ آخر ثقة من نفس الطريق فقال بدلا من إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم : إسرائيل عن أبي إسحاق عن يزيد بن زيد فذكر الحديث مثله حرفا بحرف

فالحاكم مع تساهله المعروف أعله هذا بالإضافة إلى عنعنة أبي إسحاق وهو معروف بالتدليس ، ثم اختلاطه وإسرائيل اختلف في سماعه منه هل هو بعد الاختلاط أم قبله

وأما كون الحادثة في خديجة فقد تظاهرت النصوص على ذلك وأما لفظة شيطانك فهي من تصرف الرواة وأرجح ألفاظها صاحبك كما يأتي من قول خديجة له ﷺ عند تثبتها من كون ما يأتيه ملكا أو شيطانا وقد جزم الحافظ نفسه بحدوث تصرف من الرواة في ألفاظ الرواية لاتحاد المخرج وجوز ذلك أيضا الكرمانى

وقد أخرج القصة بدون ذكر الشكوى، الطبري وغيره من حديث عبد الله بن شداد الذي صححه الحافظ وهو الذي اعتمدنا لفظه سوى ما بين الأقواس فهو من البخاري وهذا لفظ إسماعيل القاضي في الأحكام ويشهد لتسمية خديجة فيه روايات كثيرة منها :

مارواه الطبري في التفسير ٢٣٢/٣٠ عن عروة بسند صحيح قال : أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فجزع جزعا شديدا ، وقالت خديجة : أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك قال : فنزلت والضحي ومأقلى إلى آخرها

وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم وابن المنذر وسنيد (انظر فتح الباري والدر المنثور)
ومأخرجه أبو داود في أعلام النبوة له من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو رواية عبد الله بن شداد (انظر الفتح ٩/٣)

وما أخرجه ابن مردويه الحاكم والبيهقي في الدلائل ٦٠/٧ وقال : فيه انقطاع ، عن عروة عن خديجة قالت : لما أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي جزع من ذلك ، فقلت له مما رأيت من جزعه : لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك فأنزل الله (انظر الدر ٣٦٠/٦)
ويشهد لذلك أيضا وهو من أقوى الأدلة تقدم نزول والضحي كما في حديث عائشة
وأما من الناحية العقلية فواضح جدا أنها خديجة :

أولا : لورود نصوص تدل على أن نزول الآيات كان عند إبطاء الوحي ولم يصح أن الوحي أبطأ إلا في هذه الفترة بل إن بعض النصوص صرحت بذلك ومنها ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك ، فقالوا : ودعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى " : ماودعك ربك ومأقلى (" انظر فتح الباري ٧١٠/٨) وهو في التفسير ٢٣١/٣٠ من هذه الطريق بنحو ذلك

وأخرجه ابن مردويه أيضا من نفس الطريق (انظر الدر ٣٦٠/٦) والعوفي ضعيف
وما جاء في مرسل إسماعيل مولى آل الزبير بنحو ذلك (انظر فتح الباري ٧١٠/٨)
وما ذكره سليمان التيمي في مرسله الطويل بلفظ : وفتروا الوحي فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلاه فأنزل الله والضحي وألم نشرح بكماهما (انظر الفتح ٧١٠/٨) وهو في تاريخ دمشق (١٧/٧٦٥) بنحو ذلك وليس بلفظه

ومما لم يصح فيه بأن ذلك في بدء الوحي ما أخرجه الطبري (٢٣١/٣٠) عن قتادة بسند صحيح
وما أخرجه أيضا عن الضحاك بنحوه

وإذ قد ثبت أن القول كان في بدء الوحي فلا دخل لأحد غير خديجة في ذلك لأن الجهر بالدعوة تأخر عن ذلك كثيرا

وما ذكرته لو قرأه أي منصف لعلم بطلان هذا الانتقاد .

وأضيف هنا لمن زعم التخصص في السيرة : لماذا لا يعتبر أيضا فترة الثالثة للوحي عندما توقف الوحي عن رسول الله ﷺ في قصة أصحاب الكهف ؟ فقد كانت بضع عشرة ليلة فهي أولى من ثلاث ليال ؟

والصواب أن انقطاع الوحي بعد استقرار الأمر لأيام لا علاقة له بفترة الوحي التي آلمت رسول الله ﷺ في بداية البعثة والتي نحن بصدددها والتي هي سبب نزول سورة والضحى . والله أعلم .

رابعا : أزيد الشيخ وادعى أنني حرفت كلام المحافظ ابن حجر لقولي : وجزم ، وهو يقول: لم يجزم وإنما استظهر . ولن أجادله كثيرا في الفارق ؛ فالأمر واضح جدا لكل ذي عينين أن الشيخ متحامل ، ويحاول التشبث بالقش ونحوه .

ولو افترض أن تعبيره هو الأصوب ، أيعد ما عبرت به تحريفا؟؟

ثم هب أن المحافظ لم يجزم بل كان كلامه عكس كلامي تماما ، فماذا يضيرني؟؟ فكيف وهو موافق سواء أكان استظهارا أم جزما؟؟

ثم خبط الشيخ تخبيطا عجيبا في مسألة تصرف الرواة ، وما ذلك إلا لضعف البضاعة! وتصرف الراوي يكون بناء على فهمه للحديث ، وهو مشهور جدا في أئمة الحديث

ثانيا : أن هذه المرأة لو كانت غير خديجة كيف عرفت أن الوحي لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وخصوصا أن الفترة كانت قصيرة جدا وإنما عرفت خديجة لأنها كانت في ذلك الوقت متربعة لنزول الوحي مرة ثانية

ثالثا : أن الوحي بعد تنابعه كان ينزل على فترات متفاوتة واليومان والثلاثة لا تجعل أحدا يقول إن في ذلك توديعا أو نحوه حتى تأتي امرأة أبي لهب فتزعم ذلك ومن قال بأن القائلة هي امرأة أبي لهب إنما قال ذلك على فرض وجود فترة وحي أخرى أثناء الدعوة

رابعا : أن ألفاظ الروايات لا تسعف القائل بذلك إلا بتعسف شديد ففيها : أنها قالت : يا رسول الله وهذا لا تقوله امرأة أبي لهب وفيها أنها امرأة من أهل بيته وغير ذلك مما يجعل حمله على خديجة كالمتمعين فكيف مع تصريح الروايات باسمها ؟ وليس هناك ما يستنكر أن يرد من خديجة إلا لفظة شيطانك وهي لم ترد في شيء من الروايات الماضية كلها سوى رواية من روايات حديث جندب وقد تقدم ما فيها

ونكتفي بهذا القدر فإن فيه كفاية والحمد لله رب العالمين .

ورواته الثقات ، لا كما تخيل الأخ . ولو راجع أصغر كتب المصطلح لوجد فصلا في باب الرواية بالمعنى^(٢٤) ، ولعلم لا محالة صحة ما ذكرته .

والراوي الذي ذكر في الرواية لفظة : شيطانك ، ظن أن القائل ليس مسلما وإنما هو من كفار قريش ، فعبر بهذه اللفظة بناء على فهمه .

وأما غيره ممن عرف أنها خديجة ، وأنها متأسفة لذلك ، غير شامته ولا ساخرة ، أو أدى الرواية كما سمعها - وليس بالمعنى - قال : يا رسول الله ، وقال : صاحبك .

ثم يصر الشيخ إصرارا عجيبا على إصاق فرية وتهمة عظيمة بي ، وهي أنني مصر أن خديجة رضي الله عنها ، قالت هذه الكلمة - بالمعنى الذي فهمه - وأنها تراجعت عن إيمانها !!

وأنا أقول كبرت كلمة !! وما ذنبي في عدم الفهم ، وسوء الظن ؟ بل الأمر كما قال الحافظ ابن حجر : إنها قالت ذلك تأسفا وتوجعا .

ثم هو يتحدث عنها ، وكأن هذه القصة بعد إسلامها بسنوات ، لضعف انشغاله بتحرير ما يقرأ من السيرة . والواضح لكل مطلع أن هذه القصة بعد إسلامها بيومين أو ثلاثة ، وقبل نزول شيء من القرآن ، سوى صدر العلق والفاثحة .

كما يدعي أنني اعتمدت رواية مرسله وتركت روايات الصحيحين ! وفي الانشغال برد ذلك مضیعة للوقت بعد ما قدمته من تحرير علمي دقيق .

ونقول للشيخ المتخصص في السيرة : نريد منك أن تحرر لنا اللفظ الذي ذكره جندب رضي الله عنه في حديثه ما هو بالضبط ؟؟؟ هل هو : فقالت امرأة من قومه ؟؟ أم فقال المشركون ؟ أم فقالت امرأة ؟؟

وهل قالت : صاحبك ؟؟ أم : شيطانك ؟؟ أم : ربك ؟؟ ... وهكذا في الاختلافات العجيبة بين الروايات .

ثم قال في الفقرة الثانية من بيانه المزعوم :

(٢٤) انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١٩٨ - ٢١١ وذكر من أئمة الحديث الذين كانوا يروون بالمعنى عمرو بن دينار والحسن والشعبي وإبراهيم النخعي وابن أبي نجیح وجعفر بن محمد وغيرهم .

تفسيره لقوله تعالى : ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون بقوله : لظنه ﷺ
بنفسه .

ثم قال : قلت : إن سورة ن نزلت بعد الجهر بالدعوة وليس كما ورد في الكتاب المذكور .

وأقول ردا عليه : وهذا من قلة بضاعتك يا أخي الكريم في السيرة والتاريخ والتفسير
والحديث .

ففي السيرة : جزم بذلك إمام السيرة في زمانه عبيد بن عمير^(٢٥) قال : أول ما نزل من
القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم ن .

وفي التاريخ جزم بذلك الكلبي^(٢٦) حيث قال : ثم أنزلت آيات بعد ثلاث آيات من أول
ن والقلم أو ثلاث آيات من أول المدثر أحدهما قبل الأخرى فأبي الثلاث كن قبل الأولى
فالأخرى بعدهن .

وأما في التفسير : فجزم به إمام التفسير من التابعين مجاهد^(٢٧)

كما روي عن إمام التفسير وترجمان القرآن ابن عباس^(٢٨) وجاء عن الحسن البصري
وعكرمة^(٢٩) وعن جابر بن زيد وهو من أعلم التابعين بالقرآن^(٣٠) وجاء أيضا في مرسل
سليمان التيمي^(٣١) .

(٢٥) كما أخرجه عنه ابن أبي شيبة ٥٤١/١٠ ، ٨٨/١٤ بسند صحيح

(٢٦) كما في النسخ والمنسوخ لقتادة ص ٥٢

(٢٧) أخرجه ابن أبي شيبة في الموضوع السابق وإسناده صحيح أيضا .

(٢٨) أخرجه ابن الضريس ٦٦/أ عنه قال : وكان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك الذي
خلق ثم ن والقلم ثم يأيها المزمّل ثم يأيها المدثر الخ وإسناده ضعيف جدا ولكن له طريق آخر
عن ابن عباس عند البيهقي في الدلائل بنحوه (١٤٤/٧) ولفظ بدايته : إن أول ما أنزل الله
على نبيه قال البيهقي : ولهذا الحديث شاهد في تفسير مقاتل وغيره من أهل التفسير مع
المرسل الصحيح - يعني ما يأتي عن الحسن وعكرمة

(٢٩) رواه البيهقي في الدلائل أيضا (١٤٢/٧) عنهما قالا : أنزل الله من القرآن بمكة اقرأ باسم
ربك ون والمزمّل والمدثر الخ وقال البيهقي (١٤٣/٧) : مرسل صحيح

(٣٠) أخرجه أبوبكر محمد بن الحارث في جزئه المشهور عنه قال : أول ما أنزل الله من القرآن
بمكة اقرأ ثم ن والقلم ثم يأيها المزمّل ثم يأيها الدثر ثم الفاتحة ورجال الإسناد ليس فيهم مطعون
فيه يجرح فلا بأس بالاستشهاد به (وانظر الإتيان ١٣/١ ، ٣٣)

حتى في المصحف المطبوع حالياً جاء ترتيب نزول هذه السورة بعد العلق مباشرة وقد ذكره الزركشي^(٣٢) في البرهان ١/١٩٣ ثم قال : فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة وعليه استقرت الرواية من الثقات .

فليت شعري هل مكث رسول الله ﷺ ثلاث سنوات ، لم ينزل عليه شيء من القرآن بعد اقرأ ، حسب زعم فضيلة الشيخ المتخصص في السيرة ؟؟؟

وأما في الحديث : فأخرج ذلك الطبري في التاريخ وابن أبي عاصم في الأوائل كما تقدم الإشارة لذلك من حديث عائشة في بدء الوحي بإسناد صحيح عن النعمان بن راشد^(٣٣) عن الزهري عن عروة عن عائشة وقال في آخره عن النبي صلى الله عليه وسلم : ثم كان أول ما نزل علي من القرآن بعد اقرأ " ن ، والقلم وما يسطرون فذكر إلى قوله فستبصر ويصرون " و " يا أيها المدثر قم فأندر " و " والضحى والليل إذا سجي " وهو عند ابن أبي عاصم عن عائشة موقوفاً

قال هداه الله ورزقه العلم النافع : ما ورد في الكتاب المذكور من أن النبي ﷺ كان يظن بنفسه الجنون حتى نزلت ما أنت بنعمة ربك بمجنون فيه غاية الإساءة للنبي ﷺ ... إلخ ما أزيد به وأرعد .

ثم ألزمني بواطيل افتراها من عند نفسه حيث قال : فهل كان النبي ﷺ يظن في نفسه الجنون لبضع سنوات من بدء الوحي ونزول القرآن الكريم ؟؟ إلخ كلامه الفارغ من الصحة والمصدقية أيضاً .

والجواب : أولاً من أين له دعوى إنني قلت ذلك ؟؟ أتحدى أن يأتي من كلامي بما ذكره . ثم إن نزول ن كما سبق تحريره وتفصيله في الكتاب كان بعد ثلاثة أيام من بدء الوحي فما هذا الهراء الذي نراه في كلام الشيخ ؟؟

(٣١) عند ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٦٢-٧٦٦/١٧ وإسناده إليه صحيح .

(٣٢) البرهان ١/١٩٣

(٣٣) النعمان قال فيه الحافظ : صدوق سيء الحفظ ولكن يشهد لذلك روايات منها ما تقدم .

ثم أخذ الشيخ يتخبط ، فمرة يلتبس لي مخرجا ، ومرة يقر بأن هذه الخشية أمر طبعي يحصل لما فطر عليه الإنسان من ضعف بشري . وأخذ يتمحل ويدور حول نفسه ، ثم ذكر كلام العلماء بما يوافق قولي !! ومنهم الحافظ ابن حجر ، حيث صدر أول ما قيل في تفسير الخشية بذلك ، وذكر توجيه الإسماعيلي له .
لكنه مصر بأن يلزمني بأني قلت : إنه ﷺ ظن في نفسه الجنون حتى نزلت .
وأنا لم أقل ذلك البتة ، والذي قلته أمامك أيها القارئ الكريم .

ثم أحب الشيخ أن يقحم نفسه في التفسير !! فقال : إن سياق الآيات يبطل التفسير الذي ورد في الكتاب المذكور . فسرد الآيات متواصلة ، وغفل عن اقتصاري في النزول على الآيات الأولى فقط ، وهي التي نزلت ذلك الوقت حسب ما ذكر أهل التفسير ، ودلت عليه الآثار .

بقي أن نذكر للشيخ المتخصص من الذي سبقني لهذا التفسير الباطل الآثم ، وهذا الفهم السقيم جد السقيم _ على حد زعمه _ هداه الله _ فأقول :
أول من سبقني هو رسول الله ﷺ نفسه :

أخرج الطبري (٣٤) عن عبد الله بن شداد وهو من صغار الصحابة أنه قال لخديجة بعد نزول اقرأ : ما أراي إلا قد عرض لي .

قال ابن الأثير (٣٥) : قوله عرض لي : يعني أصابني مس من الجن .
وأخرج الإمام أحمد في مسنده وابن سعد في الطبقات والطبراني عن ابن عباس أنه ﷺ قال لخديجة : لقد خشيت على نفسي أن يكون بي جنن . (٣٦)

وأخرج الطيالسي وأبو نعيم في دلائل النبوة وغيرهما عن عائشة وفيه قوله ﷺ : فظننتها فجأة الجن .

(٣٤) التاريخ ٢/٢٩٩-٣٠٠ وقال ابن حجر: والإسناد إلى عبد الله بن شداد صحيح ، وقد أخرجه جماعة من أهل

العلم ومنهم أبو نعيم في دلائل النبوة وقال ابن حجر في الفتح ٢٥/١ إسناده حسن .

(٣٥) النهاية في غريب الحديث ٨٣/٣

(٣٦) قال الهيثمي في المجمع ٢٥٥/٨ : رجال أحمد رجال الصحيح .

وفي مرسل عبید بن عمیر (٣٧) أنه ﷺ قال لخديجة : إن الأبعد لشاعر أو مجنون فقالت : أعيدك بالله .

ويوجد آثار أخرى يراجع لها الكتاب لمن أراد الاستزادة (٣٨) .

وأما من بعد رسول الله ﷺ من أهل العلم ، فقد تقدم كلام ابن الأثير ، وسبق كلام ابن حجر الذي ذكر هو طرفا منه ، وتوجيه الإسماعيلي له ، وأنه في بداية أمره ﷺ ، وهذا عين ما قلناه ، والله الموفق .

وكيف يعقل أن يكون ذلك ردا على المشركين ، ولما يعرف أحد بعد بدعوته ﷺ فضلا عن اتهامه بالجنون ؟ حيث أثبتنا بما لا مجال للشك أن هذه الآيات نزلت في أول ما نزل . ومن نقل كلامهم من المفسرين بخلاف ذلك فلعدم ربطهم بين السيرة والتفسير ، في هذا الموضوع ، وهذه من فوائد كتابي والله أعلم .

وعلى كل فإنني لم أعز هذا الكلام لأحد ، بدلالة عدم وجود رقم مرجعي بعده ، فيبقى وجهة نظر قابلة للنقاش ، ومقارعة الحججة بالحجة . وهل في مثل ذلك غضاضة حتى يوصف الكلام بالأباطيل والموضوعات !؟
والشيخ بين أمرين كليهما مر :

إما أن يصر على نزول ن بعد سنوات من البعثة فيخالف ما اتفق عليه أهل العلم من المفسرين والمؤرخين وأهل السير وأهل الحديث والآثار الواردة في ذلك ، ويقبل تفسير من نقل قولهم في أن ذلك في اتهام المشركين .

وإما أن يخالف قول هؤلاء الذي قالوه بالرأي ، ويسلم بما ذكرت لموافقته للثابت الصحيح .

وأحب أن أنبه على مسألة تفسيرية وهي أن التفسير كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتبعه ابن كثير وحرره جماعة من أئمة أصول التفسير إذا جاء عن رسول الله ﷺ فهو المعتمد ، فإن لم نجد فعن صحابته الكرام ، وإلا فعن التابعين (٣٩) .

(٣٧) الذي أخرجه ابن إسحق بسند صحيح عنه وقد تقدم ذكره .

(٣٨) صحيح السيرة النبوية ١/٣٦٥-٣٦٦ حاشية رقم ٣٣٥

(٣٩) انظر : مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣-١٠٥ ، مقدمة تفسير القرآن العظيم ١/٣-٤

وقد تقدم عن رسول الله ﷺ ما يفسر الآية بما ذكرناه ، وهو الموافق للآثار ، وأحداث السيرة ، ولم يرد شيء بخلافه عن أحد من الصحابة أو التابعين . وإنما الذي فسر الآية بما ذكر الشيخ إنما أتى به بمحض الرأي الذي هو بمعزل عن أحداث السيرة . والله تعالى أعلم .

ثم قال في الفقرة الثالثة من بيانه المزعوم :

ورد في الكتاب المذكور بعد قوله تعالى : وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك على خلق عظيم (يعني دين عظيم) ، ثم يعزى هذا التفسير في حواشي الكتاب لابن جرير الطبري - رحمه الله - فيقول في حاشية ... : هذا التفسير روى منه قوله : على دين عظيم ، ابن جرير وغيره . ١. هـ

ثم ذكر كلاما لابن جرير في تفسيره للآية ، وأن خلقه ﷺ القرآن وأتى بحديث عائشة في ذلك وادعى أن مراد من قال : دين عظيم هو ما جاء في حديث عائشة . ثم قال - هداه الله للحق - :

ولم يريدوا التفسير الذي ورد في الكتاب المذكور ، من تجريد النبي ﷺ من هذا الثناء العظيم ، وصرفه عنه ، بدليل أن مؤلف الكتاب المذكور لم ينقل سوى هذا التفسير من الأقوال ... إلخ كلامه السيئ القبيح الظن .

ثم يقول : ثم لنفرض جدلا أن هؤلاء الذين فسروا الخلق بالدين ، لم يريدوا ما ورد في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ، فما الذي دفع مؤلف الكتاب المذكور لأن يقتصر على هذا التفسير ويعرض عن غيره ؟ ... إلخ كلامه - سامحه الله وغفر له .

وأقول : عجبني من الأباطيل والموضوعات التي اكتشفها أخونا الهمام !!

هل اقتصاري على تفسير ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن أباطيل وموضوعات؟؟ وهل قلت لأحد إنني أصنف تفسيراً للقرآن؟؟ ولو قلت ذلك ، هل يلزمني أن أذكر كل أوجه التفسير؟؟؟

للأسف الشيخ يقع في فواقر بسبب سطحيته ، والرد عليه كالتالي :

أولا : لقد بتر الشيخ كلامي عامدا ، ووضع علامة انتهاء الكلام لكي يهرب من نسبة القول لابن عباس رضي الله عنه فتكملة ما ذكرته هكذا :

ابن جرير وغيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو إسناد حسن كما بينا في المقدمة لا سيما وقد ورد أيضا عند الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس وله شواهد عن مجاهد وابن زيد والضحاك^(٤٠) .

أقول : وكذا عن أبي مالك وغيره حيث صرح بلفظ : الإسلام . وإنما اخترت لفظ ابن عباس لأنه صحابي وإمام المفسرين والسند إليه ثابت .

ثانيا : ما ذكرته عائشة ليس تفسيرا لقوله تعالى : وإنك لعلی خلق عظیم ، وإنما جوابا لمن سأها عن خلق رسول الله ﷺ حيث قالت : كان خلقه القرآن . فهي لم تسأل عن معنى كلمة : خلق عظيم في هذه الآية ، بخلاف ابن عباس ومن معه من أهل التفسير . وماذا يقول في تفسير عائشة ذلك بالعشر الأوائل من سورة قد أفلح المؤمنون؟؟ كما أخرجه النسائي^(٤١) وغيره .

ثالثا : من أين له هذه الادعاءات وأنا ما زدت عن ذكر ما ذكره ابن عباس؟؟ فأنا لم أشرح شيئا ، ولم أوجه الرواية ، لا في المتن ولا الحاشية ، فمن أين أتى بذلك؟ اللهم إلا أن يكون هذا هو الفهم الوحيد الذي يمكن أن يفهم لكون الآية من أوائل ما نزل ، وهذا يقودنا للفقرة التالية .

رابعا : يا أخي الكريم ! هذه الآية نزلت فيما نزل بعد أول ما نزل ، فلم يكن ثم قرآن يتخلق به النبي ﷺ . ولو كانت أخلاقه قبل نزول القرآن ، هي القرآن ، فما فائدة نزوله إذن؟؟ وعائشة إنما تتحدث عن خلقه ﷺ الذي رآته منه ، بعد نزول القرآن عليه ، وأما عند نزول هذه الآية فقد كانت عائشة في عالم الغيب فهي لم تولد إلا بعد ذلك بست سنوات .

(٤٠) انظر ٣٥٧/٢ حاشية رقم ٤٧٨

(٤١) في تفسيره ٩٦/٢ وإسناده حسن .

خامسا : من الناحية التفسيرية المقام ليس مقام ثناء على النبي ﷺ ، وإنما مقام طمأنة له لما اعتراه من خشية بسبب فجأة الوحي ، وغرابة الأمر عليه ، حتى قال لخديجة ما قال ، وذهب لورقة ليسأله ، ونحو ذلك .

سادسا : دعك من التهويل والعبارات الرنانة التي ليس لها خطام ولازمام ، حيث تقول : ويعرض عن غيره ، لاسيما حديث أم المؤمنين عائشة الوارد في الأحاديث الصحيحة ، والذي أجمعت عليه الأمة سلفا وخلفا ؟؟؟!!

ويا عيني على الإجماعات !! وعلامات الاستفهام والتعجب !! مع ما تقدم عن حبر الأمة وغيره .

وأخيرا : لست أنا من يجرّد النبي ﷺ من هذا الثناء ، وهو خير خلق الله خلقا ، وأحسنهم خلقا ، وأطهرهم نفسا ، وأعلاهم شرفا ، وأكرمهم على الله . ولو كان في ذكرى هذا التفسير تجريد له ﷺ من ثناء الله ، فالأولى بذلك الاتهام ابن عباس رضي الله عنهما ومن معه من سلف الأمة ، فأنا لم أنقل سوى تفسيرهم للآية ، ولم أزد عليه كلمة .

ثم قال في الفقرة الرابعة والأخيرة من بيانه المزعوم :

ثم نأتي لتفسيره لقوله تعالى : ووجدك ضالا فهدى ، فقال : يعني كان على أمر قومه أربعين عاما .

ثم ذكر بعض كلام المفسرين فيها وقال : ما الذي جعل مؤلف الكتاب المذكور يقتصر على تفسير السدي ؟ مع كون السدي ضعيفا كما يقول العلماء ؟ بل إنه لم ينقل حتى ما قيل في توجيه تفسير السدي ... إلخ كلامه

ثم نقل نقولا في عصمته ﷺ قبل البعثة عن بعض أهل العلم ، وتكلم عن شق الصدر وفقهه ثم قال :

لكن الذي يبدو من عبارات الكتاب المذكور ، أنها تنفي العصمة عن النبي ﷺ قبل النبوة إلخ كلامه هداه الله للحق والصواب .

وأقول : في كلامه هذا مغالطات مكشوفة :

الأولى : قوله يقتصر على تفسير السدي : فكأنه يوجد قول غير قوله في سلف الأمة في تفسير هذه الآية ، وقد ثبت نحوها دون تفسير الآية في حديث جبير بن مطعم الذي أخرجه البيهقي^(٤٢) بسند صحيح - في حجه ﷺ في الجاهلية - وفيه يقول جبير : وهو على دين قومه .

وأخرج الطبري^(٤٣) عن قتادة بسند صحيح في قوله : (لم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) قال : كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله سبحانه .

ونحن نطالب الشيخ أن يأتينا بتفسير لهذه الآية عن أحد من السلف الصالح بخلاف تفسير السدي .

الثانية : قوله : مع كون السدي ضعيفا كما يقول العلماء .

وأقول : هذا افتراء على العلماء ؛ فالسدي _ إذا كان يقصد في الحديث _ من جلة التابعين ، ومن رجال صحيح مسلم ، ممن تجاوز القنطرة ، وحديثه أقل أحواله أنه حسن . وإن كان يقصد في التفسير ؛ فتلك باقعة ليس لها راقعة ، لأن السدي إمام في هذا الفن ، وتفسيره من أفضل التفاسير .

قال العجلي : السدي ثقة عالم بالتفسير راوية له . وقال إسماعيل بن أبي خالد : كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله ... ومر إبراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر فقال : إنه ليفسر تفسير القوم .

ثم ماذا يقول الشيخ في رواية جبير بن مطعم رضي الله عنه أهو ضعيف أيضا ؟؟

الثالثة : قوله : لم ينقل ما قيل في توجيه رواية السدي .

وأقول : وهل أنا ملزم بذلك ؟؟ وقد ذكرت في المقدمة أن الكتاب له مرحلة أخرى ، هي مرحلة الشرح والتوجيه والاستنباط ، وأما هنا فهي مرحلة توثيق النقول فقط .

(٤٢) في دلائل النبوة ٣٧/٢ . وانظر لتخرجه أيضا صحيح السيرة ٣٢٢/١ حاشية رقم ٢٠٤ .

(٤٣) جامع البيان ٢٣٣/٣٠ .

ثم إن الشيخ لو كان استنكاره للكتاب ، أنه يحتاج إلى الشرح والتوضيح في بعض المواضع ، لقبنا هذا منه ، ولاعتذرنا بأن تلك مرحلة أخرى ، ولكنه أبقى إلا أن يقول ما قال مما لا أثر للصحة فيه ولا الصدق .

الرابعة : تكلف الشيخ نقولا عن بعض العلماء في حفظ الله لرسوله ﷺ وصيانتة له قبل البعثة ، وأضرب عن نقل مثل ذلك من كتابي الذي أجلب عليه بخيله ورجله ، مما يبطل مزاعمه .

ففي المجلد الأول من كتابي المظلوم :

يوجد في ص ١٦٢ فصل عنوانه : شبابه ﷺ واشتغاله بالرعي والتجارة وحفظ الله له .
وفي ص ١٧٠ فصل عنوانه : لقاءه ﷺ لزيد بن عمرو بن نفيل وتأثره بكلامه توفيقا من الله له .

وفي ص ١٧٣ فصل عنوانه : تطهير الله له ﷺ من الشرك وبغضه للات والعزى .

وفي ص ١٧٤ فصل عنوانه : حجه ﷺ وصومه وتوفيق الله له .

فسبحان الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور !!

وإذا كان يريد الحق لذهب إلى كتابي : الإسلام ونبي الإسلام ، الذي تكلمت فيه بأسلوبي الخاص في توجيه هذه الروايات التي يستشكلها ، وذلك في الفصل الثاني في شبابه ﷺ حتى البعثة ص ٦٣-٧٨ بما يكذب دعاواه هذه كلها والله الحمد والمنة

ثم قال الشيخ هداه الله : لقد أورد الكتاب المذكور ، تفسيرات واهية وأخبارا موضوعة ، فأورد تفسير قوله تعالى : ووجدك ضالا فهدى يعني : على أمر قومه أربعين عاما ، أي : من الشرك والضلال والفساد وارتكاب الفواحش .

أقول : قبح الله اللسان الذي أخرج هذه القذارة ، ولعنة الله على من وصف رسول الله ﷺ _ ولو قبل بعثته _ بهذه الألفاظ الوقحة التي هي عكس واقعه ﷺ .

اتق الله يا شيخ ، فوالله لقد اقشعر بدني لهذه الألفاظ !! من أين أتيت بها ؟ لعنة الله على من قأها .

تقدم أنني لم أنقل إلا كلام السدي رحمه الله ، وهو الإمام السلفي المفسر العالم الذي لا يخالف له في تفسير هذه الآية . ولا يعني كلام السدي هذه الوقاحة التي ذكرها الشيخ ، ولا أدري من أي مزيلة جاء بها _ نسأل الله السلامة والعافية .

وهل تفسير السدي يطلق عليه : تفسيرات واهية وأخبارا موضوعة؟؟؟

ثم يقول الشيخ هده الله : وفسر قوله تعالى : الذي أنقض ظهرهك يعني : ما كان في جاهليته ، ولم يقل قبل بعثته ﷺ وهذا يكشف مراده من قوله : كان على أمر قومه أربعين عاما . وهل كان النبي ﷺ قبل نبوته جاهليا ؟ يفعل ما يفعله أهل الجاهلية كما يفعله هذا التفسير المفتري ؟ وهل كانت له ﷺ جاهلية ؟

وأقول : ما زال الشيخ يلزمني إلزيمات باطلة ، أنا في معزل عنها ، فأنا مجرد ناقل لتفسير سلف الأمة الذين هم أتقى وأورع وأعلم وأحب لرسول الله ﷺ وتقديرا له من ملء الأرض مني ومنه . والذي قلته هنا مأخوذ من تفسير إمام مفسري التابعين مجاهد - رحمه الله - كما أخرجه الفريابي (٤٤) وليس له مخالف من السلف الصالح في هذا التفسير ، فليزِم مجاهد بن جبر - أبا الحجاج المكي العالم الحبر تلميذ حبر الأمة ابن عباس الذي عرض عليه القرآن ثلاث عرضات يسأله عن كل آية - بما أراد إلزامي به .

ولا أدري بماذا سيتهم أيضا مفسري السلف في تفسيرهم قوله تعالى : ووضعنا عنك وزرك بما هو أشد من تفسير مجاهد .

قال قتادة : كانت للنبي ﷺ ذنوبٌ ، قد أثقلتَه فَعَفَرَهَا اللهُ له .

وقال ابنُ زيدٍ : عَفَرَ له ذنَبه الذي كان قبلَ أن يُنَبَّأَ فوضعه (٤٥)

ثم هل إضافة الفترة إليه ﷺ تعني أنه كانت له جاهلية ؟ فالمراد بداهة فترة ما قبل البعثة ، فقد عاش رسول الله ﷺ فترة الجاهلية ، ولكنه لم يتلبس بشيء من قاذوراتها من فضل الله وتوفيقه له كما دلل على ذلك عناوين كتابي ، ولكن هكذا يكون من أراد شيئا في نفسه!

(٤٤) انظر : فتح الباري ٧١١/٨ . وهو عند ابن جرير بمعناه ٢٣٤/٣٠ .

(٤٥) أخرجهما الطبري ٢٣٤/٣٠ ، ٢٣٥ بإسنادين صحيحين وروى عن الضحاك أشد من ذلك .

وإذا أراد أن يعرف ما أدين به في حال رسول الله ﷺ قبل بعثته فما عليه إلا أن ينظر في الكتاب الذي انتقده ، وفي كتاب الإسلام وني الإسلام ، بقلب غير حقود ، ونظر غير حسود .

ومما قلته في كتاب الإسلام وني الإسلام الذي هو من كلامي وجعبي :
وكانت شخصية النبي ﷺ في تلك المرحلة ، شخصية اجتماعية لأبعد الحدود ، وكانت علاقته بمجتمعه طيبة ، لا يعكرها شيء من المشاحنات والمنازعات ، فلم يحفظ عنه أنه أنكر عليهم شيئاً مما يفعلونه ، بل كان رجلاً منهم ، يتنقل في أسواقهم كما قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٤٦)

ويشاركهم أعيادهم واجتماعاتهم ، وأعمالهم وعباداتهم ، وطعامهم وعاداتهم ، إلا ما كان يشعر في داخله برفض له ، ولكنه لم يجاهرهم بذلك ، وكان الأصل الأصيل في هذا الرفض هو التوفيق الإلهي .

فقد كان ﷺ يبغض اللات والعزى ، ويتضح ذلك من محاوره له لخديجة رضي الله عنها ، يرويها جازاً لهما حدث أنه سمع النبي ﷺ ، وهو يقول لخديجة : " والله لا أعبد اللات أبداً ، والله لا أعبد العزى أبداً " . فتقول خديجة : خلت اللات ، خلت العزى ، قال : كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون

وقلت : ومن سمات شخصيته ﷺ أيضاً في تلك الفترة :

. العفة ، والطهارة ، والتنزه عن قاذورات الجاهلية :

ثم ذكرت الحديث الآتي الكلام عنه دليلاً على ذلك ثم قلت :

فمن هذا الحديث يتبين لنا كيف كانت عفته ﷺ ، فعلى الرغم من طبيعة أهل الجاهلية ، وانتشار الفاحشة فيهم ، من غير نكير ، بل إنها أخذت صوراً رسمية وأصبحت نوعاً من أنواع النكاح ، كما قدمنا في أحوال البيئة التي نشأ فيها ﷺ ، لم يهمل ﷺ بشيء من ذلك ، في خلال أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، إلا هاتين المرتين . ولعل الحكمة في تحديثه نفسه بذلك إثبات كماله الخلق ، واستعداداته الطبيعية ، وميوله الفطرية ، ولا يخفى على القارئ

ما يبدو من النصّ من عَدَمِ حَرِصِهِ عَلَى ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ انشَغَلَ عَنْهُ بِأَمْرِ هَيِّئِ ، لَا يَنْشَغِلُ بِهِ حَرِصٌ عَلَى ذَلِكَ .

وَأَيْضاً فِي هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ بَيَانُ تَدَخُّلِ الْعَنَاءِ الْإِلَهِيَّةِ ، الَّتِي حَمَّتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ التَّطْبِيعِ الْاجْتِمَاعِيِّ ، الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي التَّمْهِيدِ ، وَبِالْأَخْصَرِّ فِيمَا يُسْتَبْشَعُ فِي حَقِّ الْمَصْطَفَى لِلنُّبُوَّةِ كَهَذِهِ الْحَالَةِ .

وَأَتَّصَفْتُ أَيْضاً شَخْصِيَّتَهُ ﷺ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ بِصِفَاتٍ سَامِيَةٍ مِنْهَا :

. الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَالْعِفَافُ : ... إِنْخِ كَلَامِي فِي كِتَابِ الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّ الْإِسْلَامِ . (٤٧)

فَأَيْنَ هَذَا الْكَلَامُ الْمُؤَصَّلُ الْمَدْلَلُ بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَامِي لِحَنَابِ الْمَصْطَفَى ﷺ وَالْمَنَافِعِ عَنْهُ وَالْمَنْزَهَ لَهُ مِمَّا افْتَرَاهُ عَلَيَّ الشَّيْخُ الْمَفْضَالُ ؟؟

وَقَدْ ذَكَرْتَنِي فَعَلَ هَذَا الشَّيْخُ بِقَوْلٍ مِنْ إِذَا سَمِعْنَا نَثَبْتَ لِلَّهِ صِفَةَ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، يَقُولُ : يَعْنِي يَقْعُدُ عَلَيْهِ ؟ يَعْنِي يَمَاسُهُ ؟ يَعْنِي هُوَ مَحْتَاكُ إِلَيْهِ ؟ ... إِنْخِ هَذِهِ التَّرَهَاتُ .

ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ هَدَاهُ اللَّهُ : هَذَا ، وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا الرَّأْيَ الْفَاسِدُ ... فَذَكَرَ حَدِيثَ عَلِيِّ وَفِيهِ : مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهْمُونَ بِهِ (مِنَ النِّسَاءِ) إِلَّا مَرَّتَيْنِ فِي الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا يَعِصِمَنِي اللَّهُ مِنْهَا .

قَالَ : وَقَدْ وَضَعَ الْكِتَابَ الْمَذْكُورَ عِبَارَةً : (مِنَ النِّسَاءِ) بَيْنَ قَوْسَيْنِ لِيَلْفِتَ الْإِنْتِبَاهَ إِلَيْهَا وَعَزَاهُ لِلْسِّيُوطِيِّ فِي الْخِصَائِصِ وَإِلَى غَيْرِهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ إِنَّمَا هِيَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي الدَّلَائِلِ ، ثُمَّ ذَكَرَ تَخْرِيجَاتٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِهَذَا الْحَدِيثِ .

ثُمَّ أَطَالَ الْكَلَامَ حَوْلَ هَذِهِ الزِّيَادَةِ بِمَا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ ، وَرِمَانِي بِمُخَالَفَةِ مَنْهَجِي فِي الْاِقْتِصَارِ عَلَى الصَّحِيحِ ، فَقَالَ : لَمْ يَلْتَزِمْ مَنْهَجَهُ هَذَا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ، وَلَا فِي غَيْرِهَا ، بَلْ أَخَذَ بِالرُّوَايَاتِ الضَّعِيفَةِ ، وَحَتَّى الْمَوْضُوعَةِ .

قَالَ : ثُمَّ مَا الْغَرَضُ مِنْ إِبْرَازِ لَفْظَةِ مِنَ النِّسَاءِ ؟ مَعَ احْتِمَالِ وَضْعِهَا كَمَا اسْتَظْهَرْتَ ؟ ثُمَّ أَرْدَفَ بِالْإِزْمَاتِ بَاطِلَةً مُشَابِهَةً لِمَا تَقْدَمُ رَدَّهُ .

(٤٧) انظر : ص ٦٥-٧٠ .

وأقول : قاتل الله الجهل ! ومن أنت حتى تستظهر وضع لفظة ثبتت بسندها عند إمام من أئمة الحديث والسيرة وهو الإمام البيهقي في كتابه العظيم دلائل النبوة؟؟ هل أتيت لنا بمن وضعها من رواة هذا السند؟؟ وهل فيه وضاع أو متهم بالكذب؟ ثم ما بالك انتبهت هنا للأقواس؟ وبدأت تشق عن قلبي ، وتعرف ما بداخله من مقصد؟ وأنت لم تنتبه لمئات الأقواس التي في الكتاب ، والتي قد بينت في مقدمته معناها؟؟

أخي المسكين : إن الأقواس لبيان أنها زيادة عند بعض من خرج الحديث ، وليست عن جميعهم ، كما فطنت أنت أخيرا بعد ما استعنت بمن استعنت به . ثم إنني وضعت زيادة أخرى بين قوسين أيضا فلماذا لم تنتبه لها؟ وهي في نفس الحديث؟ حيث جاء فيه : سمعت غناء وضرب دفوف (وغرايل) ومزامير ... إلخ^(٤٨) فلماذا لم تشق عن قلبي لتعرف سبب وضع القوسين في هذه الكلمة أيضا؟؟ ثم ادعاء المسكين أنني عزوت ذلك للخصائص الكبرى ، من بضاعته الكاسدة في الحديث ؛ فأنا لا أعزو للخصائص لأنه كتاب غير مسند .

ولكن تخريجي للحديث واضح ودقيق وموافق لأصول هذا العلم والله الحمد والمنة^(٤٩) .

(٤٨) انظر صحيح السيرة ١٦٣/١ .

(٤٩) قلت : أخرجه ابن إسحاق (انظر الخصائص ١/٨٨) ومن طريقه البخاري في التاريخ الكبير ١٣٠/١ والبخاري (كشف الأستار ٣/١٢٩) والبيهقي ٣٣/٢ وأبو نعيم ص ١٤٣ والحاكم ٤/٢٤٥ والطبري ٢/٢٧٩ وابن حبان وإسحاق بن راهويه (أخرجه أبو نعيم من طريقه وانظر الخصائص) قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزوم عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده به . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت الذهبي وقال الهيثمي (٢٢٦/٨ :) رجاله ثقات اه وصححه ابن حبان وقال الحافظ ابن حجر : إسناده حسن متصل ورجاله ثقات (نقله السيوطي في الخصائص ١/٨٩ وسكت عليه) ثم قلت : فالحديث حسن لاسيما وله شاهد عن عمار بن ياسر رواه الطبراني في الصغير ٥٤/٢ وفي الأوسط والكبير (انظر المجمع) قال : حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن شاذان الفارسي أبو علي بشيراز حدثنا أبي حدثنا سعد بن الصلت حدثنا مسعر بن كدام عن العباس بن ذريح عن زياد بن عبد الله العامري النخعي ثنا عمار بن ياسر قال : قلت : يارسول

فالحديث عندي معزو لدواوين أهل السنة ومدعم بتصحيح العلماء له . وكون هذه الزيادة عند البيهقي أو غيره ؛ فالمهم أنها زيادة ثقة ، ثابتة بسندها .

ثم إن هناك ما يشهد لها من حديث عمار بن ياسر بنفس اللفظ ، ولا أدري ماذا يريد الشيخ بهذا التدليس - سامحه الله ؟

ثم أريد أن أسأله سؤالاً : لو لم ترد هذه اللفظة في هذا الحديث ؛ فما هو في ظنه الذي كان تواعد عليه رسول الله ﷺ ؟؟

فالحديث يقول : قلت لفتى من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعاها : انظر غنمي حتى أسمر الليلة كما يسمر الفتیان ..

ثم ذكر في بقية الحديث أن الذي صرفه عن ذلك اللهو هو الغناء وضرب الدفوف والمزامير ..

فما هو السمر الذي كان يسمره فتیان قريش في الجاهلية ، وقد صرفه عنه الغناء وضرب الدفوف ؟؟

ثم يقول ﷺ بعد ذلك : فوالله ما هممت بعدهما بسوء - مما يعمل أهل الجاهلية - حتى أكرمني الله بنبوته .

فهل سياق الحديث الثابت يقوي هذه الزيادة أم ينافيها ؟؟ أترك ذلك لكل عاقل . وأحب أن أعطي الشيخ معلومة تفيده حديثاً - ممن سبر مستدرك الحاكم - وهي أن طبعة المستدرك سقيمة ، وبها سقط كثير ، وقد انبرى لتصحيحه الدكتور أحمد ميرة لأجل ذلك ، فرواية البيهقي في الدلائل هي المعتمدة لأنها مقابلة على عشر نسخ خطية كما ذكر محققها .

وأخيراً : ذكر الشيخ لفظة في الحديث وهي قوله ﷺ : فلهوت بما سمعت . ثم قال : والسؤال هنا ما الغرض من ذكر هذه العبارة ؟ ... وقد أعرض عن ذكرها البيهقي وابن كثير والسيوطي والشامي ؟ وإعراضهم عن ذكرها في روايتهم للقصة يدل على عدم

الله هل قارفت شيئاً مما قارف أهل الجاهلية من النساء ؟ قال " : لا ، وقد كنت على موعدين ؛ أما أحدهما فغلبتني عيني وأما الآخر فشغلتني عنه سامر القوم"
قلت : فهو طريق صالح للشواهد والمتابعات وقد رواه أيضاً أبو نعيم وابن عساكر (انظر الخصائص ١/٨٩).

صحتها عندهم . لكن الكتاب المذكور ، يوردها ويصححها ، وهي غير صحيحة ! ولا أدري ما الغرض من ذلك ؟ ... ثم ذكر كلاما مجموعا مر أكثر من مرة .
وأقول :

أولا : من ذكرتهم ليس منهم من أسند الحديث إلا البيهقي^(٥٠) !! والحديث له ألفاظ ، وكلها متقاربة ، واللفظ الذي ذكرته هو المنقول ممن أسند الحديث و صححه ، وهو ابن حبان والحاكم في مستدركه على الصحيحين^(٥١) !!
فليتق الله هذا الرجل فإنه موقوف بين يدي الله ومحاسب .

ثانيا : هل ذكر كتاب لرواية للحديث يدل على عدم صحة الرواية الأخرى ؟؟ ما هذا العلم الذي نسمع به لأول مرة ؟! وقد افترى وادعى على هؤلاء العلماء ما لم يقله أحد منهم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثالثا : كلام الشيخ يوحى بأن هذه اللفظة تركت عمدا ، لا أن هذه رواية أخرى تماما . وفي هذا من التدليس ما فيه .

وفي نهاية المطاف يقول الشيخ :

ولذا فيني لا أقبل هذه الرواية وأمثالها مما جاء في هذا الكتاب ... وعندى أنه ليس بصحيح السيرة النبوية ، وليس بالسيرة الذهبية ، لما فيه من أخبار غير صحيحة ، بل وموضوعة !! ولما فيه من خلط في ترتيب وقائع السيرة النبوية . علما بأني لم أتناول بالتعقيب إلا قضية واحدة كما تقدم ... إلخ كلام سخييف هو أقل قدرا من أن يقحم نفسه فيه .

وأقول له : لقد ارتقيت مرتقى صعبا !! فهذه ليست حلبتك ، وعليك بلزوم التلفاز والإذاعة والحكايات ، وأما التحقيق العلمي ومحاوره العلماء ، فوالله إني لمشفق عليك منها بعد ما تقدم .

(٥٠) انظر الدلائل ٣٣/٢ .

(٥١) المستدرک ٢٤٥/٤ وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت الذهبي . وانظر للتخريج

كاملا : صحيح السيرة ٣٢٣/١-٣٢٤ .

وأنا في الحقيقة لست منتظرا لقبولك ، وقبول أمثالك للكتاب ، ولا أحفل بما هو عندك - إن كان لكم عند - طالما أن هذا هو منهجك في النقد ، وأسلوبك في الحوار وطالما كان هذا مستواك العلمي !

ثم هل كل هذا قضية واحدة؟؟؟

إما أن هذه رياضيات حديثة لم نسمع بها _ مع أخذك في الحسبان أن تخصصي قبل تفرغي للشريعة كان الرياضيات _ وإما أن الشيخ تأثر بمرور الزمن وعوامل تقدم السن ختم الله لنا وله بالخير .

والشيخ في موضوعه أساسا خالف الصواب ؛ فليس هناك إلا منهج أهل الحديث في الفقه والسيرة والتفسير وكل ما يقوم عليه الدين . ولعل الدكتور عبد الله الرحيلي يكون له جولة أخرى معه في هذا الأمر ، ولولا الخرافات التي أثرت في عقول الناس من الواهيات والموضوعات في السيرة لما أشكل على الشيخ شيء مما ذكرته في كتابي والحمد لله .

وأستميح الشيخ عذرا في عدم التزامي باللقب العلمي الذي وصف به في المجلة لأنني حسب ما أظنه أن شهادات الجامعة التي منحتها الدكتوراة غير معترف بها . ملاحظة أخيرة : الشيخ يستخدم أسلوب العوام لا أسلوب أهل العلم ؛ فلم أر أحدا من أهل العلم - لا من السابقين ولا غيرهم من المتأخرين - عندما يذكر رسول الله ﷺ يقول : سيدنا .

فإما أنه على غير هدي أهل العلم ، أو أنه يزعم أنه أعلى منهم منزلة في محبته ﷺ . وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ من أشد الناس تعظيما له ، فما كانوا يقومون له لكرهته لذلك . وكانوا من أشد الناس حبا له ، فلم يخاطبه أحد بسيدنا لأنه نهاهم عن ذلك . فالخير كل الخير في اتباع سلف الأمة وعلمائها الأكابر .

وأكتفي بهذا القدر وآمل أن يلتمس لي القارئ العذر في بعض الحدة فهي ردة فعل طبيعية لما بدأنا به . وصلى الله على نبينا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .